دار القاسم

التبرك

بالأشجار والأحجار ونحوهما

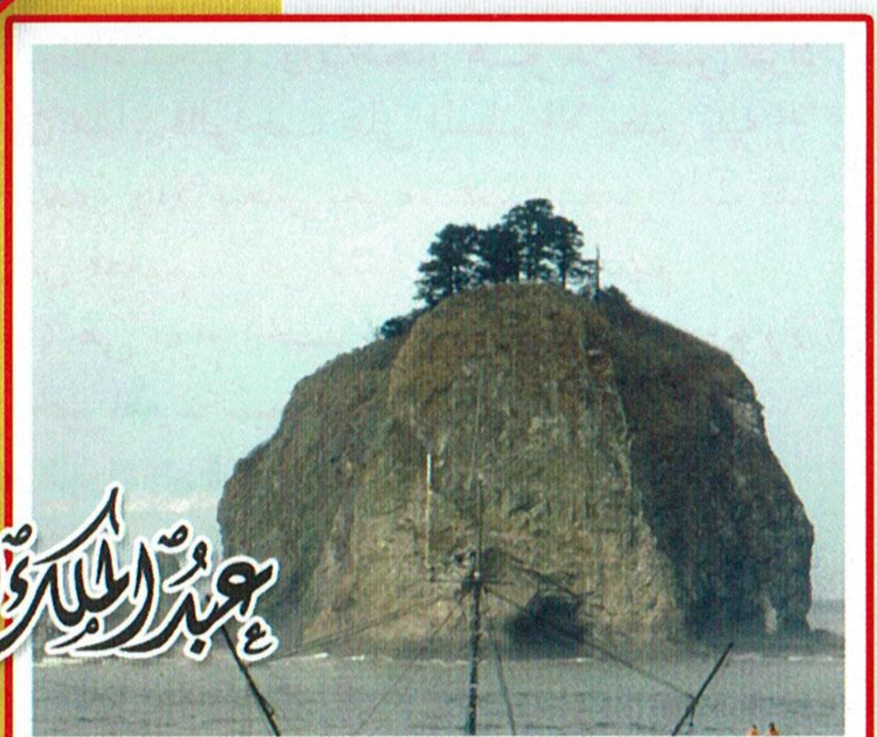

عبد الملك القاسم

الرياض ص.ب ٦٣٧٣ الرمز ١١٤٤٢ هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠
جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ ف: ٦٣٣٣١٩١ بريدة ت: ٣٢٦٢٨٨٨ ف: ٣٦٩٢٨٨٨
الدمام ت: ٨٤٣١٠٠٠ ف: ٨٤١٣٠١١ خميس مشيط ت: ٢٢٢٢٢٦١ ف: ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

بعث الله محمداً ﷺ يجدد للناس دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويدلهم على أن العبادة محض حق الله ـ تعالى ـ، لا يجوز صرف شيء منها لغيره ـ سبحانه وتعالى ـ.

وقد وبخ ـ سبحانه وتعالى ـ المشركين على تعظيمهم لأصنامهم، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ٥٣].

واللات والعزى والمناة من أشهر وأعظم الأصنام في زمن الجاهلية، وقد كانوا يطلبون منها أن تبارك لهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، فكانوا بهذا مشركين الشرك الأكبر؛ لأنهم عبدوها من دون الله حين طلبوا بركتها، وما هي إلا أوهام تخيلوها لا حقيقة لها، فهي مجرد أشجار وأحجار لا تنفع ولا تضر، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وما يحصل ممن ينتسب إلى الإسلام من التبرك بالقبور، والأشجار، والأحجار هو من جنس تبرك المشركين هذا، فالواجب على المسلم ألا يعلق قلبه إلا بالله وحده، وألا يتعلق بغيره، فمن فعل ذلك فقد شابههم في فعلهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

والبركة: هي دوام الخير وكثرته، ولاخير أدوم ولا أكثر من خير الله ـ سبحانه ـ.

وينقسم التبرك إلى قسمين:

الأول: تبرك مشروع؛ وهو إلتماس البركة من شيء عُلم بالشرع أنه مبارك، كشرب ماء زمزم طلباً للشفاء، قال ﷺ: «**إنها مباركة، إنها طعام طُعم**» [رواه مسلم] وفي رواية أخرى: «**زمزم طعام طُعم، وشفاء سقم**» [رواه البزار].

الثاني من أنواع التبرك؛ تبرك ممنوع: وهو إلتماس البركة فيما لم يأذن به الشرع؛ كمن اعتقد أن هذا

الشيء يمنح البركة بذاته، كمن يتبرك بالأشجار، أو الأحجار، أو قبور الصالحين، لطلب نفع أو دفع ضر؛ فذلك شرك أكبر.

أما من اعتقد أن هذا الشيء سبب لحصول البركة من الله، كمن يتمسح بمقام إبراهيم أو حجر إسماعيل أو بالصالحين فذلك شرك أصغر، وإن اعتقد أن هذا العمل مما يُتقرب به إلى الله فهو مُحرم ووسيلة إلى الشرك.

وعبادة المشركين لأصنامهم التي ذكر الله ـ عز وجل ـ إنما كانت بالتفات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها، من جلب نفع أو دفع ضر، فصارت أوثاناً تُعبد من دون الله؛ فالتبرك بقبور الصالحين كاللات، وبالأشجار والأحجار كالعزى ومناة، من جنس فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان، فمن فعل مثل ذلك فقد ضاهى عُبَّاد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك، مع أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك؛ قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١] أي: كيف تجعلون هذه الإناث أنداداً لله وتسمونها آلهة، وذلك أنهم اشتقوا إسم اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ، وقيل: أتجعلون لكم ما تحبون وهم الذكور وتجعلون لله الإناث؟ وهذا من قولهم: الملائكة بنات الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢٢] أي جور وباطل.

وفي الحديث عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله؛ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السُنَن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ لتركبن**

سُنَنَ من كان قبلكم» [رواه الترمذي وصححه].

حين فتح النبي ﷺ مكة أسلم كثير من أهلها، وخرج فئة منهم معه إلى حنين، وفي طريقهم إليها رأو شجرة سدر للمشركين تسمى (ذات أنواط) يعلق عليها المشركون أسلحتهم ويعظمونها، ويقيمون عندها، ويتبركون بها.

عندئذ طلب هؤلاء الذين أسلموا حديثاً من الرسول ﷺ أن يجعل لهم شجرة مثلها يتبركون بها ظناً منهم أنّ هذا أمر محبوب عند الله، ولم يقصدوا مخالفة أمر الرسول ﷺ، ولكن لكونهم أسلموا حديثاً خفي عليهم أن هذا الأمر يُعد شركاً بخلاف غيرهم ممن سبق إسلامه، فإنه لا يجهل ذلك.

وقد أنكر رسول الله ﷺ على هؤلاء الذين طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون، وكبَّرَ ﷺ حين سمع ما لا يليق بجلال الله وعظمته تنزيهاً لله عن الشرك، وشبه مقالتهم بمقولة بني اسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

والجامع بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل: أنّ كلاً منهما طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، فمن تبرك بالأشجار والأحجار فقد اتخذها آلهة.

ومعنى: «يعكفون» أي: يلبثون ويقيمون عندها ويعظمونها؛ والعكوف هو البقاء واللبث والإقامة على الشيء في المكان، عبادة وتعظيماً وتبركاً؛ وإنما عكفوا عندها لما كانوا يأملونه فيها من البركة، كما يعكف عباد القبور اليوم عندها ويجاورون؛ وتدفع الصدقات والنذور لتلك القبور.

فعبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الثلاثة: العكوف والتعظيم والتبرك؛ عُبدت الأوثان من دون الله.

وتغير الاسم لا يغير الحقيقة، فدل على أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك أكبر، لتسويته ﷺ بين

مقالتهم ومقالة بني إسرائيل، وحلف ﷺ على ذلك وإن لم يُستحلف؛ مزيد تحذير، وكمال شفقة وتأكيداً لهذا الخبر وتعظيماً له، فإن التبرك بالأشجار والأحجار يجعلها آلهة وإن لم يسموها آلهة، فما يفعله من يعتقد فيها من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها هو الشرك الأكبر؛ وإن سمى عمله ما شاء من الأسماء فأهل هذه الأزمنة يسمون شركهم توسلاً وتشفعاً، وهو من أعظم الشرك.

وفي الحديث علم من أعلام النبوة، وأن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة، وفيه الخوف منه، وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظنه يُقربه إلى الله وهو أبعد ما يبعده، وفيه النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه إلا ما دل الدليل على أنه من شرعنا، وأن ما ذم الله به اليهود والنصارى، فإنما قاله لنا لنحذره، فلا يجوز التبرك بالصالحين؛ لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه مع غير النبي ﷺ، لا أبي بكر رضي الله عنه ولا غيره، ولا فعله التابعون مع قاداتهم في العلم والدين، وللنبي ﷺ في حال حياته خصائص كثيرة، لا يصلح أن يشاركه فيها غيره، فلا يجوز أن يقاس عليه أحد من الأئمة لعدم المقاربة فضلاً عن المساواة له ﷺ في الفضل والبركة، وعدم تحقق الصلاح فإنه لايتحقق إلا بصلاح القلب، ولو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، ولأنه لايؤمن أن يُفتن وتعجبه نفسه، ولا يتبرك بالكعبة ولا غيرها، سداً لذريعة الشرك، بل تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبره ﷺ لما كان موجوداً، فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة، وذُكر أنه لما رأى عطاء فعله لم يأخذ عنه العلم.

وقد أخبر الرسول ﷺ عن وقوع الشرك في هذه الأمة مشابهة للأمم السابقة من اليهود والنصارى حيث عبدوا آلهة مع الله حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، وهو خبر بمعنى الذم؛ وإنما قاله لنا ﷺ لنحذره، وقد

وقع الشرك في هذه الأمة كما أخبرنا ﷺ به، وهذا علم من أعلام النبوة، فعُبَّاد القبور اليوم قد اتخذوها آلهة مع الله يعكفون عندها، ويتلمسون منها البركة، ويدفعون لها الصدقات والنذور، ويسألونها قضاء الحاجات كما يسألون ربهم.

ومن أسباب الوقوع في التبرك المنوع:

أولا: الجهل بالتوحيد وبما ينافيه ويضاده، فقَّل أن تجد من يتعلم التوحيد ويعلم أبناءه.

ثانيا: الغلو في الصالحين والمبالغة في تعظيمهم، والواجب أن تكون محبة الأنبياء والصالحين باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح.

ثالثا: التشبه بالكفار وقد ابتلي به كثير من الناس في الأزمنة المتأخرة لسهولة الإتصال وضعف الدين.

رابعا: تعظيم الآثار أو اعتقاد بركتها كبقعة أو زاوية أو قبر أو مشهد أو حجر، أو كغار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه، وحجرة قبر النبي ﷺ، وأما الحجر الأسود فإنه لا يُتبرك به، وإنما يُتعبد لله باستلامه وتقبيله، كما قال عمر رضي الله عنه: «إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يُقبلك ما قبلتك». ولذلك لا يجوز أن يتجاوز في الحد المشروع وهو التقبيل والاستلام خلافا لبعض الجهلة، يظنون أن به بركة حسية، ولذلك إذا استلمه بعضٍ هؤلاء أو استلم الركن اليماني مسح على بدنه تبركا بذلك؛ وهذا جهل، فلا يشرع لمن استلمه أن يمسح على بدنه أو ولده.

فعلى المسلم أن يتفقه في الدين، ويعرف التوحيد من الشرك حتى لا يقع فيما يفسد عقيدته، جعلنا الله وإياكم من عباده المخلصين، ممن يعبده حق عبادته.

[من كتاب: خطب التوحيد المنبرية]

دار القاسم تقدم برنامج سحائب للفتيات. يصل المشترك شهرياً كتيب تربوي - كتيب قصصي *مطوية بإشتراك سنوي ١٠٠ ريال فقط.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطابع دار القاسم ت: ٢٧٠٩٥٥٥ ف: ٢٧٠٧٧٠٨